رسالة الإسلام إلى البشرية

المكان: طهران

الحضور: مسؤولو الدولة وضيوف مؤتمر الوحدة الإسلامية

الزمان: ١٣٩٢/١٠/٢٩ش. ١٤٣٥/٤/١٧هـ. ٢٠١٤/٠١/١٩

المناسبة: ميلاد الرسول الأكرم (ص) والإمام الصادق(ع) وأسبوع الوحدة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

أبارك العيد السعيد لميلاد الرسول الأعظم (ص) المبارك والولادة المباركة لابنه الكبير الإمام الصادق (عليه الصلاة والسلام) لكم جميعاً أيها الحضور المحترمون الذين تفضّلتم بالمجيء إلى هذا الاجتماع، والضيوف الأعزاء في أسبوع الوحدة وسفراء البلدان الإسلامية، وكل المسؤولين والأجلاء الذين يتولون مسؤوليات الأعمال الجسام في البلاد. كما أباركه لكل شعب إيران ولكل المسلمين في العالم، بل لكل أحرار العالم.

هذه الولادة المباركة مصدر بركات عمّت حياة كل أبناء البشرية طوال قرون، وارتقت بالشعوب والبشر والإنسانية إلى أعلى العوالم الإنسانية والفكرية والروحية وإلى حضارة راقية وآفاق مشرقة من الحياة. المهم بالنسبة للعالم الإسلامي والمجتمع الإسلامي في ذكرى هذه الولادة هو أن يَضعَ نصب أعينه توقعات الرسول الأكرم (ص) من المجتمعات الإسلامية، ويسعى ويجاهد لتحقيق هذه التوقعات، فسعادة العالم الإسلامي في ذلك ليس إلّا. لقد جاء الإسلام لتحرير البشرية.. تحريرها من قيود الأجهزة المستبدة الظالمة المتعسفة مع مختلف طبقات البشر، وإيجاد حكومة عادلة للإنسانية، وتحريرها كذلك من الأفكار والتصورات والأوهام التي تسود حياة الإنسان، والتي وجّهت حياة الإنسان بخلاف مصالحه. لقد وصف الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه الصلاة والسلام) مناخ حياة الناس عند ظهور الإسلام بأنه مناخ فتنة، فقال: «في فِتَنٍ داسَتهُم بأَخفافِها ووَطِئَتهُم بأظلافها»(١). الفتنة هي ذلك الفضاء المضبّب المغبّر الذي تعجز فيه أعين الإنسان عن النظر والرؤية.. الأعين لا ترى الطريق، ولا تشخّص الصلاح. كانت هذه وضعية الناس الذين يعيشون في تلك المنطقة المليئة بالمحن والآلام. وفي البلدان الكبرى والحضارات التي كانت قائمة يومذاك ولها حكوماتها وشعوبها كانت هناك أيضاً أوضاع بشكل آخر. ليس الأمر بحيث نقول: إن الناس في جزيرة العرب فقط كانت حياتهم تعيسة عند ظهور الإسلام، بينما كان الآخرون يعيشون الرخاء والسعادة، لا، غلبة الحكومات الجائرة والظالمة وتجاهل شأن الإنسان والإنسانية والحروب الطاحنة التي قامت بين القوى الكبرى من أجل السيطرة والهيمنة، كلها

كانت قد أفسدت حياة الناس. النظر في التاريخ يدلّنا على أن الحضارتين المعروفتين في ذلك الحين، أعني الحضارة الإيرانية الساسانية وحضارة الإمبراطورية الرومانية كانت لهما أوضاع يعتصر بسببها قلبُ الإنسان على عموم الناس ومختلف شرائح البشر الذين كانوا يعيشون في تلك المجتمعات. كانت أوضاع حياتهم أوضاعاً مؤسفة ومؤلمة، وكانوا يعيشون في أغلال وأسر.

جاء الإسلام فحرّر البشر. وهذه الحرية تحققت أولاً في قلوب الناس وأرواحهم. وحينما يشعر الإنسان بالحرية ويشعر بالحاجة لتحطيم القيود والأصفاد، فإن طاقاته وقواه سوف تعمل بتأثير من هذا الشعور، وإذا عقد الهمّة والعزم وتحرّك، فإن الحرية سوف تتحقق له بشكل عيني موضوعي. هذا ما فعله الإسلام للبشر، واليوم أيضاً لا تزال هذه الرسالة موجودة في كل العالم وفي العالم الإسلامي. أعداء حرية البشر يقتلون فكرة الحرية لدى البشر ويسحقونها. وحين لا تكون هناك فكرة الحرية فإن التحرك نحو الحرية سيكون بطيئاً أو سيزول تماماً. واجبنا نحن المسلمين اليوم هو أن نوصل أنفسنا إلى الحرية التي يريدها الإسلام. استقلال الشعوب المسلمة وتأسيس حكومات شعبية في كل أنحاء العالم الإسلامي، ومشاركة كل الأفراد في اتخاذ القرارات وتعيين المصير والتحرك على أساس الشريعة الإسلامية هو ذلك الشيء الذي سينقذ الشعوب. طبعاً تشعر الشعوب المسملة اليوم أنها بحاجة إلى هذه الحركة، وهذا الشعور موجود في كل أرجاء العالم الإسلامي، وسوف يؤتي هذا الشعور في نهاية المطاف أكله بلا مراء. إذا نهض النخبة والعينة من الشعوب – سواء النخبة السياسية أو النخبة العلمية والدينية – بواجباتهم على نحو صحيح فإن مستقبل الإسلام سيكون مستقبلاً جيداً. وهنالك أمل بهذا المستقبل. العالم الإسلامي اليوم يشعر بالصحوة. وفي هذا الموقف بالتحديد يتدخل أعداء الإسلام – المعارضون للصحوة الإسلامية ولاستقلال الشعوب ولسيادة دين الله في البلدان – ويختلقون مختلف الحيل لتعطيل المجتمعات الإسلامية وإجهاضها، وأهمّها هي خلق النزاعات والخلافات.

منذ ٦٥ عاماً والعالم الاستكباري يحاول بكل ما أوتي من قوة فرض واقع وجود الكيان الصهيوني على الشعوب المسلمة، وإجبارهم على قبول هذا الواقع، لكنه فشل ولم يستطع. لا ننظر لبعض البلدان والحكومات التي تبدي استعدادها لسحق مصالحها الوطنية أو نسيان المصالح الإسلامية من أجل صيانة مصالح أصدقائها الأجانب وهم أعداء الإسلام، فالشعوب تعارض وجود الصهاينة. إنهم منذ ٦٥ عاماً يحاولون زجّ اسم فلسطين في مطاوي النسيان لكنهم لم يستطيعوا. خلال هذه الأعوام الأخيرة وفي حرب الثلاثة وثلاثين يوماً في لبنان، وفي حرب الإثنين وعشرين يوماً في غزة، ومرة أخرى في حرب الأيام الثمانية في غزة أيضاً، أثبتت الشعوب المسلمة والأمة الإسلامية أنها حيّة، واستطاعت على الرغم من الأموال التي تنفقها أمريكا وباقي القوى الغربية أن

تصون وجودها وهويتها وتصفع الكيان الصهيوني الزائف المفروض، وتفرض الفشل على سادة وأصدقاء وحلفاء الصهاينة الظالمين الذين بذلوا خلال هذه المدة كل جهودهم لحماية هذا الكيان المفروض الظالم المجرم. لقد أثبتت الأمة الإسلامية أنها لم تنس فلسطين، وهذه قضية على جانب كبير من الأهمية. في هذه الظروف تنصبّ كل جهود العدو على أن تنسى الأمة الإسلامية قضية فلسطين. كيف؟ عن طريق خلق خلافات ونزاعات وإشعال الحروب الداخلية وإشاعة التطرف المنحرف باسم الإسلام والدين والشريعة. البعض يكفّرون عامة المسلمين والأكثرية منهم. وجود هذه التيارات التكفيرية التي ظهرت في العالم الإسلامي بمثابة البشرى للاستكبار ولأعداء العالم الإسلامي. هؤلاء هم الذين يصرفون الاهتمام إلى نقاط أخرى بدل تركيزه على واقع الكيان الصهيوني الخبيث.

وهذا على الضدّ تماماً مما أراده الإسلام. فقد أراد الإسلام من المسلمين أن يكونوا «اَشِدّاءُ عَلَى الكُفّارِ رُحَماءُ بَينَهُم»(٢). على المسلمين أن يكونوا أشداء صلبين بوجه أعداء الدين، ويقفوا بقوة ولا يلينوا. صريح الآية القرآنية «اَشِدّاءُ عَلَى الكُفّار». ويكونوا عطوفين بينهم ومتحدين ومتعاضدين وأن يعتصموا بحبل الله. هذا هو أمر الإسلام. وإذا بتيار يظهر يقسّم المسلمين إلى مسلم وكافر! ويستهدف بعض المسلمين باعتبارهم كفاراً، ويشعل الاشتباكات بين المسلمين! من بوسعه أن يشك في أن إيجاد هذه التيارات ودعمها وتمويلها وتسليحها هو من فعل الاستكبار والأجهزة الأمنية الخبيثة للحكومات الاستكبارية؟ إنهم يخططون لهذه الممارسات والأعمال. على العالم الإسلامي أن يخوض في هذه القضية ويعالجها، فهي خطر كبير. للأسف بعض الحكومات المسلمة تثير هذه الخلافات عن غفلة، ولا تفهم أن إثارة هذه الخلافات ستشعل نيراناً تطالهم كلهم. هذه هي إرادة الاستكبار: حرب جماعة من المسلمين مع جماعة أخرى. ومنفذو هذه الحروب هم أناس يقبضون من أموال عملاء المستكبرين، فهم يمدّونهم بالمال والسلاح ليشعلوا الاقتتال والاشتباكات الداخلية في هذا البلد وذاك. وقد تصاعدت هذه التحركات من قبل الاستكبار خلال هذه الأعوام الثلاثة أو الأربعة الأخيرة التي شهدت تنامي موجة الصحوة الإسلامية في عدد من البلدان الإسلامية والعربية، وذلك من أجل تهميش الصحوة الإسلامية. يوقعون بين المسلمين، وتعمل الأجهزة الإعلامية للعدو على تضخيم بعض الأمور ليظهروا الإسلام قبيحاً في أنظار الرأي العام العالمي. حينما تظهر التلفزة إنساناً يقضم ويأكل كبد إنسان باسم الإسلام، فما سيكون تصورهم حول الإسلام؟ لقد خطط أعداء الإسلام، وهذه ليست أموراً ظهرت فجأة ومن دون مقدمات. إنها أمور تم التخطيط لها منذ فترات، وتقف وراءها سياسات وأموال وأجهزة تجسسية. على المسلمين أن يقفوا ضد أي عامل من عوامل نقض

الوحدة. هذا واجب كبير علينا جميعاً، على الشيعة أن يقبلوا هذا وعلى السنة أيضاً أن يقبلوه، وكذلك على الفرق المتنوعة داخل الشيعة وداخل السنة أن تقبله.

الوحدة بمعنى التركيز على المشتركات. لدينا الكثير من المشتركات. المشتركات بين المسلمين أكثر من مواطن الاختلاف. يجب التركيز على المشتركات. الواجبات الأساسية في هذا الجانب تقع على عاتق النخبة، سواء النخبة السياسية أو النخبة العلمية أو النخبة الدينية. ليحذّر علماء الإسلام الناس من تشديد الخلافات الطائفية والمذهبية. وعلماء الجامعات يجب أن يوجّهوا الطلبة الجامعيين ويرشدوهم ويفهموهم بأن الوحدة هي أهم قضايا العالم الإسلامي اليوم. الاتحاد على الأهداف، والأهداف هي الاستقلال السياسي، وتأسيس وتكريس الديمقراطية الدينية، وتطبيق الأحكام الإلهية في المجتمعات الإسلامية، الإسلام الذي يدعو إلى الحرية، ويدعو الناس إلى العزة والشرف. هذا هو الواجب والتكليف اليوم. وليعلم النخبة السياسيون أن عزهم وشرفهم يتأتّى بالاعتماد على شعوبهم وأبناء أوطانهم، وليس بالاعتماد على الأجانب والذين يعادون المجتمعات الإسلامية من الأعماق. ذات يوم كانت القوى الاستكبارية هي التي تحكم في كل مكان من هذه المنطقة. كانت السياسات الأمريكية ومن قبلها السياسات البريطانية أو سياسات بعض البلدان الأوربية الأخرى هي السائدة والحاكمة، واستطاعت الشعوب تدريجياً أن تحرّر نفسها من ربقة الهيمنة المباشرة، وهم يريدون إحلال الهيمنة غير المباشرة – الهيمنة السياسية والهيمنة الاقتصادية والهيمنة الثقافية – بدل الهيمنة المباشرة التي كانت في عهد الاستعمار. هم بالطبع يتدخلون حالياً حتى بشكل مباشر في بعض مناطق العالم. لاحظوا ما يجري في أفريقيا حيث تريد بعض البلدان الأوربية العودة إلى نفس الأوضاع التي كانت سابقاً. والسبيل هو الصحوة الإسلامية والوعي بمكانة وشأن الشعوب المسلمة. للشعوب الإسلامية الكثير من الإمكانيات، فلها مثلاً موقع جغرافي حساس، وتراث تاريخي قيّم ثمين، ومصادر اقتصادية منقطعة النظير. إذا صحت الشعوب وعادت إلى ذاتها واعتمدت على نفسها ومدت يد الصداقة بعضها لبعض فستكون هذه المنطقة منطقة مميزة ومتألقة وسيرى العالم الإسلامي أنوار العزة والكرامة والسيادة. هذا ما سيحدث إن شاء الله في المستقبل، ويمكن ملاحظة علاماته ومؤشراته، ومنها انتصار الثورة الإسلامية في إيران وتأسيس نظام الجمهورية الإسلامية في هذه المنطقة الحساسة وتكريس نظام الجمهورية الإسلامية.

الأجهزة الاستكبارية الأمريكية وغيرها فعلت كل ما تستطيعه طوال ٣٥ عاماً ضد نظام الجمهورية الإسلامية وشعب إيران، وعلى الرغم منهم ازداد شعب إيران ونظام الجمهورية الإسلامية قوة وتجذراً واقتداراً ونفوذاً يوماً بعد يوم، وسوف يزداد هذا الاستقرار والقوة والاقتدار في المستقبل إن شاء الله أكثر مما هو عليه اليوم. وعلى صعيد العالم الإسلامي أيضاً يرى

المرء أن وعي الأجيال والشباب تجاه الإسلام ومستقبل الإسلام قد تضاعف في الوقت الحاضر أكثر من الماضي، وفي بعض المناطق نجد أن هذا الوعي تضاعف كثيراً. وبالطبع فإن العدو يبذل مساعيه ويحاول محاولاته، لكننا حين ننظر بدقة وبصيرة سنجد أن موجة الحركة الإسلامية هذه سائرة نحو التقدم والتصاعد إن شاء الله.

رحمة الله على إمامنا الخميني الجليل الذي فتح أمامنا هذا الطريق، وقد علمنا أن نتوكل على الله ونطلب المدد من الله ونكون متفائلين بالمستقبل. وقد سرنا في هذا الطريق وسيكون هذا هو الحال في المستقبل أيضاً إن شاء الله. على أمل انتصار الإسلام والمسلمين، ونسأل الرحمة والمغفرة الإلهية لشهداء هذا الدرب المنير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

---

١ – نهج البلاغة، الخطبة الثانية.

٢ – سورة الفتح، شطر من الآية: ٢٩ .